الهدف من المحاضرة:

التعرف على التصوف ونشأة وانتشاره في الجزائر وأهم الطرق الصوفية وخارطة وانتشارها في الجزائر وأدوارها الدينية والتعليمية والجهادية والاجتماعية والثقافية

المحاضرة السادسة

4-التصوف:

- نشأة التصوف و انتشاره في الجز ائر

بدأ التصوف في الجزائر تصوفا نظريا، ثم تحول ابتداء من القرن العاشر الهجري واتجه إلى الناحية العملية وأصبح يطلق عليه تصوف الزوايا والطرق الصوفية، وقد وجد التصوف وطرقه لأول مرة في بلاد القبائل ببجاية والمناطق المحيطةبها، وكانت بجاية مركز إشعاع طرقي صوفي لعدة قرون من الزمن فلقد انطلق منها رجالات التصوف الكبار من أمثال أبو زكريا الزواوي وأبو زكريا السطيفي ويحيى العيدلي والشيخ أبي مدين الذي انتقل فيما بعد إلى تلمسان وتوفي 595هـ ، 1197م ومنها انتقل التصوف إلى بقية المناطق الأخرى.

وقد كان الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي أحد أوائل وأوتاد الطريقة الصوفية في الجزائر وقد عرفت طريقة "المدينية " شهرة واسعة وأتباعا كثيرين في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي وازدادت شهرته على يد تلميذه عبد السلام بن مشيش (665هـ) ثم تطورت وأحياها من بعده شيخ الطائفة الشاذلية وتلميذ ابن مشيش "أبو الحسن الشاذلي" نسبة إلى قرية شاذلية بتونش وتوفي بأرض الحجاز سنة 655هـ، وكان لتعاليم الشاذلي تأثير مهم في الجزائر بحيث يكاد يجزم أن معظم الطرق التي ظهرت بعد القرن

الثامن(سعد الله،1998، ص 230)، تتصل بطريقة أو بأخربالطريقة الشاذلية وقد شاع التصوف في الجزائر بفضل مدرسة عبد الرحمان الثعالبي ومحمد بن يوسف السنوسي(سعد الله،1998، ص 465)وأحمد زروق وغيرهم من الشيوخ،وبذلك أخذ التصوف يدخل من شرق الجزائر ومن غربها وترجع عوامل وأسباب انتشار التصوف وطرقه بالجزائر إلى عدة أسباب منها ما هو فكري وما هو سياسي وما هو اجتماعي ونلخص هذه الأسباب والعوامل فيما يلي:

أ) **عوامل فكرية:** وجود أعلام صوفية عملوا على نشر التصوف وطرقه بكامل المغرب الإسلامي، أثروا بسلوكهم وبعملهم وبمؤلفاتهم على المجتمع الجزائري وتوارثه أبا عن جد فلقد ولد رجال متصوفين بارزين في الجزائر وفي المغرب وولد احترام العامة والخاصة لهم. فنجد من بينهم أحمد بن يوسف الراشدي بعين مليانة عام 937هـ / 1520م ومحمد أفغول وعبد الرحمان الثعالبي، ومحمد التواتيالبجائي، وشعيب السنوسي والشيخ أبو مدين ويضاف إلى كل ما سبق تأثير كثير من علمائنا بالتصوف المشرقي الذي بدأ يسيطر بدوره على الساحة الفكرية بعد محاولة الإمام الغزالي التوفيق بين الشريعة والحقيقة.

ب) **عوامل سياسية:**ومن بينها سقوط الأندلس وبذلك هجرة كثيرة من صوفية الأندلس إلى الأراضي الجزائرية واحتكاكهم بالمتصوفين هناك ونشر أفكارهم في الوسط الجزائري، الأمر الثاني هو سقوط الدولة الموحدية والتي كانت تمثل دولة قوية في وجه مواجهة الغزو الإسباني ولأسباب عدة منها الداخلية وأسباب خارجية تدهورت وضعفت (بوناني، 2000، ص 123) .

ت) **عوامل اجتماعية:** انتشار الترف والبذخ عند عدة فئات من الجتمع وهذا نتيجة الثراء الفاحش وتراجع القيم الدينية والأخلاقية حيث أهمل الخاصة والعامة الكثير من مبادئ الدين وسلوكه القويم، وقد حارب الصوفية هذا الانحراف مما انعكس على انتشار طرقهم. ظهرت الزوايا في المغرب العربي منذ القرن السادس الهجري و 13م حيث حلت تدريجيا محل الرباط ثم تطورت مهامها

وتوسعت على يد المرابطين وشيوخ الطرق الصوفية وجمعت بين العبادة والتعليم والتوجيه والإصلاح والجهاد في وقت واحد.

ب- نشأة الزوايا بالمغرب العربي عامة والجزائر بالخصوص:

يرجع الفضل في نشأة الزوايا بالخصوص إلى حكمة شيوخها الذين أخذوا في حسبانهم البعد المكاني وهذا لتغطية المناطق المفتقرة إلى العلم والإرشاد، ففي السابق لم تعرف الزاوية كما هي عليهففي البادئ ظهرت في المشرق العربي على شكل بيوت كانت ملحقة بالمساجد وكان يتردد عليها العباد والزهاد للانزواء والخلوة فيها، ثم تطورت وظهرت على شكل أبنية على أطراف المدن كمصليات صغيرة بدون محراب لإقامة الصلوات .أما في المغرب العربي فقد عرفت الزاوية تطورا بداية من القرن 13 ميلادي حيث أنشئت الزوايا بهدف تنشيط الحركة العلمية داخل المدن وخارجها وعملت على تمسك شعوب المنطقة بدينها مما ساعد على صدها للغزاة على مر العصور، بدءا بالبرتغاليين ثم الإسبان ومن بعدهم الفرنسيين والايطاليين وكان جل نشاطها في فترات الحرب هو تعبئة أتباعها ومريديها ضد الغزاة الأجنب أما في زمن الحرب فكانلهدف من تلك الزوايا هو القيام بأداء رسالتها الدينية الحضارية التعليمية والتربوية، كانت مؤسسة من طرف مشايخفضلاء، ورجال متصوفة، وعلماء عارفين بالله. قصدهم وجههعز وجل .لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورا (نسيب، 1989، ص) 38

لقد انتشرت الزوايا بالمغرب العربي بعد القرن 13 ميلادي انتشارا واسعا فهي في المدن والقرى والأرياف، على قمم الجبال وفي أعماق الصحراء وعلى السواحل في الرباطات والمنارات حيث التجأ إليها وأقام بها أناس وطنوا أنفسهم لعبادة الله كانوا فيها حريصين على أمور المسلمين واتبعوا الحديث الشريف للرسول الكريم ﷺ (عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله) أما في الجزائر فلقد عرفت عددا هاما من الزوايا أدت دورها على أكما وجه وأحسن صورةوانتشرت انتشارا واضحا، سواء في الأرياف أو في المدن، وعمت كل جهات الوطن تقريبا خاصة

الجهة الغربية والوسطى. كما انتشرت في منطقة القبائل انتشارا كبيرا خصوصا بعد الاحتلال الإسباني لمدينة بجاية .لقد سجلت الزوايا القرآنية صفحة تاريخية مهمة في الجزائر وتاريخها السياسي والثقافي والديني يبث هذا على الدور العظيم الذي قدمته الزوايا في نشر الوعي الديني والثقافي في المجتمع الجزائري منذ نشأتها. فالجزائر لم تعرف الزوايا إلا بعد القرن الخامس الهجري. ومع مرور الزمن تطور أمر الزاوية وزادت أهميتها وخاصة خلال القرن العاشر الهجري بعد سقوط الأندلس وامتداد الأطماع الأوربية إلى السواحل الجزائرية،إن أقدم زاوية تأسست في الجزائر هي زاوية الشيخ سعادة بالقرب من طولقة في القرن (06هـ. 13م) ثم انتشرت الزوايا عبر أنحاء البلاد خاصة خلال القرنين (08هـ. 15م) والقرن (09 هـ. 16م)، وكان لسقوط الأندلس والاحتلال الإسباني والفراغ الإداري واستيعاب السكان لتقبل أي حركة روحية إسلامية لكل ذلك أثر بالغ في انتشار الزوايا.وفي القرن الثامن الهجري (08 هـ .14م) انتشرت الزوايا في المغرب وأنشأت بها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعليم الدين ومبادئ العلوم، الأمر الذي أدى بملوك بني مرين إلى أن يطوروا الكتاتيب إلى مدارس وكليات ليساهموا في الحركة العلمية بجانب جامعة القيروان بفاس وغيرها من مدارس الزوايا في داخلها وخارجها (المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، 2002، ص 54)

لقد عرفت الزوايا في المغرب العربي بأنها مؤسسة لرؤساء الطرق الصوفية يجتمع فيها مريدوهم لذكر الأوراد كما كانت تتخذ مأوى لطلبة القرآن والعلم،وبقية الزوار الذين يقصدونها للاستفتاء والإصلاح بين المتخاصمين. فلقد كانت مسجدا ومدرسة ومعهد للتعليم القرآني والديني ومأوى للطلبة يشبعون في تلك الزاوية بدون مقابل. وهي الطهر والتقوى والإصلاح، وهي زوايا الحماية الخلقية والحصانة الإيمانية، هي زوايا النصر، القوة والخير المستمر، لقد كانت الزاوية تسمى بدار الضيوف وقيل أيضا عرفت بعد القرن (05هـ) وسميت في بادئ الأمر بدار الكرامة(نسيب،1998، ص 30) كالتي بناها الملك يعقوب المنصور الموحدي في مراكش، بالإضافة إلى هذا فالزوايا كانت عبارة عن مكان يجد فيه المسلمين المريدون الفكرة الدينية التي من خصائصها الجهاد الدائم ضد الكفار (الغزاة) ونذكر من

بينهم السنوسية في ليبيا ضد الايطاليين، المهدية في السودان ضد الإنجليز، والتيجانية ضد الفرنسيين، والإنجليز في إفريقيا السوداء وفي الجزائر حيث كانت القادرية تحت قيادة الأمير عبد القادر والرحمانية تحت قيادة الشيخ الحداد وأولاد سيدي الشيخ في الجنوب الوهراني وغيرها.

إن الزوايا في الأرياف يعود تأسيسها إلى أتباع المرابطين ولقد أدت الزاوية في الريف دورا أكثر إيجابية منها في المدينة فكانت رباطات ونقاط أساسية ضد الأعداء فكان المرابطون يقودون أتباعهم في الحروب الجهادية وينصرون المجاهدين ويطعمونهم في زواياهم ويتحالفون مع المكافحين من أجل الدين وحماية البلاد.